الكلمة الطيبة.. فضاء من العدالة والحق

■ للكلمة سحرٌ وسرٌ أقوى من كل المعجزات.. لذا كانت البداية والمبتدى.. لولاها لما تعارفت شعوب ولا قامت حضارات، ولولاها لما كانت هناك قوانين وشرائع وكتب سماوية.. والكلمة سرُّ ثقافات البشر ومرتكزها.. هي نورٌ يشعُّ بين الناس في كل زمان ومكان..

واعتباراً من الخلية الأولى– الأسرة– لا يمكن إلاّ أن تكون الكلمة الأداة الأساسية والهامة في مسيرة الحياة والتعامل بين أفرادها عبر حوارات لا تنتهي، حوارات تتسم بالاحترام وعدم استبداد الأهل بفرض آرائهم على الأبناء حتى لو كان هناك خلاف بالرأي، حوارات مؤلفة أساساً من عدد من الكلمات التي تعتبر الوسيلة الأولى للتواصل بدايةً مع الطفل الذي سيحمل نسغ والديه وثقافتهما (المتكلمين معه) وبقدر ما تكون هذه الكلمة رقيقة واضحة وطيّبة، تصل بسرعة إلى وعيه ويتقبّلها بلا أدنى معيقات.. وهذا ما يجب أن يكون عليه الحال في علاقة الإنسان مع محيطه وكل الذين يلتقيهم سواء في الحي أو المدرسة أو مكان العمل، وكذلك في علاقته برؤسائه ومرؤوسيه، ما يجعل من ذلك لاحقاً مرتكزاً أساسياً لعلاقة المواطن مع حكومته التي يجب أن تتسم علاقتها بمواطنيها بالاحترام وتحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة والعدالة الاجتماعية، واحترام الرأي والرأي الآخر اعتماداً على مبدأ المواطنة الذي يفرضه الدستور.

لا شكّ أنه لا يمكن أن تجري الأمور بكل تلك الرومانسية أو البساطة التي نتوقعها، إذ لا بدّ من وجود خلافات واختلافات حتى في نطاق الأسرة الواحدة، بحكم اختلاف الأعمار والأفكار، وبحكم اختلاف الانتماءات والتيارات سواء في الدولة أو المجتمع، وهذا ما سينشأ عنه بالتأكيد ما يُعرف بالمعارضة.. مما يستدعي بالضرورة إيجاد سبل ووسائل مختلفة للتعرّف على الآخر وما يريده ويبتغيه.. ولعلّ الحوار المنطقي والعقلاني هو الوسيلة المُثلى للوصول إلى نتائج مرضية للطرفين قائمة على الاحترام المتبادل والمعرفة المنطقية.

وهذا يقودنا بالتأكيد إلى ما آلت إليه الأزمة السياسية وما جرّته من حرب على البلاد، وأنه لا سبيل لحلّ تلك الأزمة وإنهاء اندلاع نيران تلك الحرب التي أتت على كل مقومات الحياة والكرامة إلاّ عبر الحوار الجاد والبنّاء، حوار سوري– سوري بالتأكيد، وصولاً إلى صيغة متناغمة لإعادة بناء الإنسان والوطن.

إيمان أحمد ونوس

ستبقى للكلمة القيمة الأهم في فضّ النزاعات

■ للكلمة مساراتها وآليات عبور لتظهر كما ترنّ بمسامعنا، فالكلمة تبث مشاعر وصوراً معينة في العقل، وكل منا يمكنه اختبار ذلك من خلال لعبة ارتباط الكلمات، إذ في هذه اللعبة سوف يجد كل من يجربها، كيف سيكوّن عقلنا صورة ما في اللاشعور لدينا، وهذا الأمر يحدث بصورة تلقائية لا إرادية.

للمحلل النفسي الفرنسي الشهير (جاك لاكان) قول شهير حول بناء اللغة بأن: (اللاشعور مبني كبناء اللغة) وفقاً لدراسة عمليات الإدراك، أي وفقاً لاستعمال الأدوات المناسبة لكل موقف، وفهم الدلالات الخاصة بعلم النفس اللغوي المتعلقة بقول الأشياء بطريقة معينة.

أما الباحث (شينسينج زين) من جامعة بوردو في ولاية أنديانا الأمريكية فيجد: من الصعب إحياء ذكرى الألم البدني مقارنة بالألم العاطفي والاجتماعي. في دراسة منشورة على موقع (BBC) تؤكد: إن التغيرات التي تطرأ على المخ وتسمح لنا بالعمل في إطار جماعي أو مجتمعي يمكن أن تكون المفتاح لفهم هذا الأمر. وطُلب في هذه الدراسة من عينة البحث، وهم متطوعون جميعهم من الطلاب، أن يكتبوا عن تجاربهم المؤلمة البدنية والعاطفية ثم يجرى لهم اختبار ذهني صعب بعد كتابة تلك التجارب بوقت قصير.

والمبدأ الأساسي الذي اعتمدت عليه الدراسة، أنه كلما كانت التّجربة التي تذكرها الطالب أكثر إيلاماً كلما كان أداؤه في الاختبار أسوأ. وكانت النتائج أفضل لدى تذكر تجارب الألم البدني عن الألم العاطفي. وقال الباحثون في هذه الدراسة: إن هناك جانباً في المخ قد يكون مسؤولاً عن التجارب والكلمات المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان هو: القشرة المخية التي تقوم بعمليات معقدة تشمل التفكير والإدراك واللغة.

إن هذا الجزء من المخ يُحسّن قدرة الإنسان على التّكيف مع الجماعات والثقافات، كما أنه مسؤول عن رد الفعل على الألم الذي له علاقة بالجماعات. فكم تُبنى من فرضيات على ما يقوله الأشخاص، وقد يكون التّفسير الخاطئ لكلماتنا متسبباً في الكثير من الحروب وفساد العلاقات وإفلاس المشروعات، كما أن الناس يقضون جلّ وقتهم وهم يقنعون الآخرين بمقدمات سيئة بأن الوضع أسوأ مما هو عليه، فهم يصعّبون الأمر على الآخرين بتكوين مشاعر سيئة لدى الآخرين.. والكلمة عندما تقال في مكانها، فإن أثرها على النفس لا حدود له، من حيث حل الخصومات والاستبصار بحلول لإعادة الوفاق والمودة.

وفي المقابل قد تؤجج بعض الكلمات الصراع، إن قيلت من أشخاص لهم وقع في القلوب ومكانة في النفوس. يقول تعالى في كتابه العزيز: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (إبراهيم: ٢٤–٢٦).

إن توظيف الكلمات المحبة والمنطقية مع أطفالنا هي المحدد لمستقبلهم العاطفي، كما أن لكلماتنا المحفّزة على التّفكير الدّور في تهيئة الظّروف للإبداع.

يقول مايكل هوجسمان (المختص النّفسي الألماني في علم نفس الطّفل): من المرجح أن تكون عدّة أجزاء في المخ تتعامل مع الألم العاطفي الذي يُعتبر تأثيره أبعد مدى. أي أنه في الألم البدني يمكن رؤية الجراح والكدمات، أما في الألم العاطفي فهو يخلف في الغالب القلق والخوف، وبالتّالي فالذّكريات المؤلمة المرتبطة بالتّجارب العاطفية أكثر إيلاماً من تلك المتعلقة بالألم البدني..

فما أحوجنا، نحن السوريين، إلى الكلمات التي تبني الجسور بين العقول والنفوس.. وما أحوجنا إلى التّملي في الفكرة قبل أن ننطق بها وتصبح كلماتنا عبئاً علينا.. للكلمات عبء على العقول والقلوب، من خلال الجمل الاتهامية التي لا تبني أي أثر إيجابي، ولا تشجّع أي حل أو أفق مستقبلي..

هناك طرق جيدة لصياغة العبارات الصّحيحة المضامين ضمن الكلمات المعينة التي قد تكون في موقف معين غير مناسبة، وتستخدم بحيث تكون أقرب إلى النتيجة التي ستحصل عليها بعد ذلك، تعتبر الطّريقة التي نصوغ بها سؤالاً لنعرف به معلومات عن الآخرين شيئاً محورياً جداً ومهماً للغاية، فمهارة طرح الأسئلة مهارة مهمة ونحتاج إليها للتّواصل مع الآخرين بنجاح، وهناك أسئلة ذات إجابات مفتوحة وأسئلة أخرى ذات إجابات مغلقة.

والسؤال ذو الإجابة المفتوحة سيستعمل الكلمات بطريقة تجعل الشّخص الذي يُطرح عليه السّؤال، يجيب بكثير من التّوضيح والتّفصيل، فمثلاً إذا قيل لك: هل تحب أفلام الرّعب؟ هذا السّؤال له إجابة محددة، أما السّؤال ذو الإجابة المفتوحة: فقد يؤدي إلى اختيار إجابة أكثر تفصيلاً وطولاً، والأسئلة ذات الإجابات المفتوحة مفيدة للدّخول إلى داخل العقل، لأنها تشجع على اكتشاف النّفس البشرية، وتستطيع أن تستعملها لتعرف الدّوافع أو الرّغبات الحقيقية أو الخفيّة للفرد.

والأسئلة القديمة الجديدة التي تبدأ ب: ماذا، متى، كيف، أين، ومن؟ تعتبر أيضاً من أدوات حل المشكلات، كما تشجع الناس على إظهار مشاعرهم العميقة.

وقد يكون هناك تردد عام في استعمال هذه الأدوات القديمة الجديدة خوفاً من أن يبدو الفرد تواقاً بشكل كبير للتّعرف على الآخرين، لكن السّؤال الجيد يساعد في التّعرف على المشكلة.

كما أن النّقد والنّصيحة يعيقان الناس عن تحليل الأسباب التي أدت إلى سلوكهم.

أخيراً، لي دعوة لكل من تصله مادتي هذه باختبار ما للكلمة من قوة وسحر بأي قالب صيغت، وبأي أسلوب طُرحت، فحتى نحسن الفعل لابد أن نحسن القول والفكرة المتضمنة له، لأن في ذلك خير لنا ولغيرنا، للعيش بسلام.

د. مرسلينا شعبان حسن

شباب ونساء
youth & Women

أعرف حقي

المحامية فريال حسن

هل للحوار قانون ينظمه؟

■ الأسرة هي الانطلاقة الأولى والنواة الأساسية التي تعزز ثقة الفرد للتواصل مع الآخرين والتعامل معهم من خلال تبادل الآراء واحترام وجهات النظر داخل الأسرة أولاً، ثم مع مجتمعه، من خلال الكلمة التي هي أفضل أدوات الإقناع، وهي نقطة البداية لتفاهم الناس وتقبّلهم للبعض الآخر، ولما لها اثر بين أفراد المجتمع، وهي التي تؤدي إلى إيجاد الحوار بينهم. فالحوار من أكثر المفاهيم رقياً للتعامل بين الأفراد وأصبح مهارة حياتية في العلاقات الإنسانية كافة، ابتداء من الأسرة وانتهاء بمؤسسات الدولة والمجتمع.

أصبح الحوار من الضروريات لمواكبة تقلبات العصر والمتغيرات المتسارعة نتيجة الاكتشافات العلمية والانفجارات المعرفية على جميع الصعد، وهذا ما انعكس على الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب باستخدام أساليب حوار بناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في الجماعة والتواصل مع الآخرين، بتعزيز روابط التفاهم والتقارب والتعايش بين الأمم والشعوب، فمنهج الحوار ينطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر وما يستلزمه من حرية.

ولهذا بادر المشرع السوري بوضع ترسانة قانونية هامة لبناء المجتمع السوري والارتقاء به لترسيخ دولة الحق والقانون وتثبيت دعائمها ودولة المؤسسات واحترام حقوق الإنسان وعدم التعسف في استعمال الحق.

وقد عزز الدستور الجديد الضمانات القانونية لحماية العديد من الحقوق الأساسية والحريات العامة للمواطنين كافة، فقد نصت المادة ٨ من الدستور السوري لعام ٢٠١٢ على: (١– يقوم النظام السياسي للدولة على مبدأ التعددية السياسية... إلخ)، وأيضاً نصت المادة ٩ منه على: (يكفل الدستور حماية التنوع الثقافي للمجتمع السوري بجميع مكوناته وتعدد روافده باعتباره تراثاً وطنياً يعزز الوحدة الوطنية في إطار وحدة أراضي الجمهورية العربية السورية)، وفي المادة ٤٢ منه نصت على (١– حرية الاعتقاد مصونة وفقاً للقانون – ٢– لكل مواطن الحق في أن يعرب عن رأيه بحرية وعلنية بالقول أو الكتابة أو بوسائل التعبير كافة)، وأيضاً نصت المادة ٤٣ منه على: (تكفل الدولة حرية الصحافة والطباعة والنشر ووسائل الإعلام واستقلاليتها وفقاً للقانون).

وبهذا نجد أن المشرع السوري تبنى الحوار في الدستور وذلك باعتبار التنوع طبيعة تكوين المجتمع، لأن أي مجتمع إنساني يتألف من أفراد ومجموعات مختلفة المشارب والأذواق والتفكير، لذلك فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى الوفاق والتفاهم والوحدة طريقاً لحل القضايا والمشاكل المطروحة، وإيجاد الحلول لها قبل تفاقم المشكلة التي تؤدي إلى حدوث إضرابات في بعض الأحيان، وهذا ما يستوجب ركائز حقيقية للحوار من تطوير تشريعات وقوانين جديدة وإحداث هيئات فاعلة متعلقة بتنظيم الحوار وتحديد أدواته وآلياته وكيفية إدارته.

فالأزمة التي تمر بها سورية والأمة العربية تؤكد وترسخ مبدأ الحوار وتفعيله في حياتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية بشكل عام، وإعادة ترتيب العلاقات على أساس الجدال الحواري القائم على المعرفة وإظهار الحق، ولكسر الجمود في العلاقات الإنسانية التي أدت إلى نشوب الأزمة التي تهدد استقرار المجتمع، بدل التصلب في المواقف والآراء الذي قد يزيد في حدة النزاعات والخلافات والصراعات التي تؤدي إلى التردي والفشل في مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا.

فمن أجل انتظام مسيرة الإنسانية واستتباب الأمن والسلام والحرية والعدالة، وتعزيز التواصل الفكري والثقافي والاقتصادي التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر والحفاظ على الحقوق والحريات وعدم النيل منها، لابد من زرع ثقافة الحوار والاستماع ونشرها عبر وسائل الإعلام والمؤسسات الوطنية وأنظمة التربية والتعليم، والالتزام بآداب الحوار، وذلك كمنهج للإقلاع الحضاري من أجل مستقبل أفضل متجاوز الحروب والأزمات، ولأن القضاء على الإرهاب يتمثل بالقضاء على الجهل وانتشار التعليم والعدالة وخلق مجتمع يتقن لغة الحوار والفهم، بدلاً من مشاهد العنف والفزع التي لا تبقي لحياة الإنسان معنى، وللوصول إلى السلام القائم على العدالة والإنصاف والحوار والمنطق.

طمـــوحـــات مشـــروعـــة

■ (قف على ناصية الحلم وقاتل!)– محمود درويش

في واقع مأزوم كالذي نعيشه منذ خمس سنوات، بات الحديث فيه عن الأحلام مجرد أوهام تذروها الأيام المتوالية المنبعثة من صميم المأساة الحقيقية التي ألمّت بهذا الشعب.

فحلمُ التغيير السلمي تحطّم، وتحطمت معه أماني جيل بعمر الورد، منه من زُهقت روحه فداء الغد المنتظر، ومنه من خسر تحصيله على مقاعد الدراسة، ومنه من غُيّب قسراً، فترك حسرة لن يمحو ندوبها مرور السنين. ومن ذلك الحلم بالمشاريع الكبيرة إلى تلك الصغيرة المقتصرة على تأمين العيش الكريم في ظل أمان مُصان بروح العدالة، وعلى قاعدة التسامح القائمة على مبدأ المواطنة. فأن يكوّن شباب اليوم نفسه، في ظل هيكلية الانفتاح الاقتصادي التي تعتمدها الإدارة الاقتصادية في البلاد، لهو تحدٍّ كبير، وهو حقاً أمر متعذّر. فمقومات ذلك– من دخل ثابت، ومسكن ملائم، وشريكة حياة، هي رغم قلتها– لا يمكن تأمين متطلباتها.

فانحسار التوظيف في القطاع العام، وهروب القطاع الخاص، أدّى إلى أن تحلق معدلات البطالة ، جارفة معها إلى القاع أعداداً متزايدة تلتحق بخط الفقر، وصولاً إلى الفقر المدقع. فمن أين سيأتي، في ظل هذا الواقع المرير، المسكن الوثير، الذي نعّم فيه الآباء يوماً ما بمبلغ زهيد؟ وأي حياة ستبنى بين الشريكين الحالمين بتكوين أسرة صغيرة؟

هي الحرب، نعم، إنها الحرب التي دبت الذعر والخوف في نفوسنا، وحطمت آمالنا وأمنياتنا، ورمتنا نواجه علقم نتاجها، فكان التشرد والهجرة ملاذاً (مكرهاً عليه أخاك لا بطل).فيا حكومتنا البصيرة أصغي لمن بقي يصارع الحياة ويلاطم أمواجها العاتية، فكرامة المواطنين من كرامة البلاد، فلنعزّز كرامة شبابنا ونحميهم من تجار الأزمات، ولنسعَ لنؤمّن لهم مستقبلاً مشرقاً في دولة مدنية ديمقراطية علمانية.

سامي أبو عاصي

شبكات التواصل

الحوار سرُّنا في حل مشاكلنا

■ من منا لا يتأثّر بكلمة أو حديث يسمعه، فإما أن يمتلك الطاقة الإيجابية أو أن ينعكس الكلام بشكلٍ سلبي على يومه؟

للكلمة في نفوسنا وقعٌ كبير، فبمجرد أن نسمع كلمةً جميلةً أو لطيفةً نرى أن يومنا بات أفضل، والعكس صحيح، فما إن نسمع عبارةً مزعجةً حتى نتحول تلقائياً إلى طاقة سلبيةٍ تحوّل كل ما نعيشه إلى أحداثٍ سيّئةٍ أو مزعجة.

والطفل هو أكثر الأشخاص إحساساً بالكلمة، باعتبار الكلام إحدى أهم وسائل التواصل معه، وتحديداً في سني حياته الأولى وما قبل المدرسة، ثم خلال حياته المدرسية. فكم من طفل مشاكس عنيد، استطاعت أمه أو مدرِّسته أنّ تحوّلهُ، بالكلام معه، إلى شخص لطيف هادئٍ مطيع!! يضاف إلى ذلك نبرةُ الصوتِ التي تقال بها الكلمات، فالنبرة الهادئة مفعولها أقوى وأعظم من النبرة العالية التي يتلقاها الطفل على أنها شيء من التعنيف، وبالتالي يمكن أن يكون رفضه لما يُطلب منه تعبيراً عن رفضه لنبرة الصوت العالية، وليس رفضاً للطلب بحد ذاته.

هذا ما لمسته من تواصلي المستمر مع الأطفال في المدرسة، فالكلمة اللطيفة الهادئة تشعرهم بالأمان والطمأنينة وتجعلهم أكثر تقبلاً لما يطلب منهم، بل وتجعلهم أكثر انفتاحاً في التعامل مع الآخر الذي هو إما زميل أو مدرّس أو أحد الأبوين أو الإخوة. فمن خلال التواصل اللفظي استطعت أن أدخل إلى عوالمهم الخاصة، وأن أحظى بأن أكون بيت أسرارهم وملجأ بوحهم، وأدركت أنه يجب علينا أن لا نتعامل مع هذا الطفل على أنه متلقٍّ دائماً، بل في كثير من الأحيان أجد أنني أتعلم منهم الكثير، شريطة احترام كيانهم والقناعة بأنهم يمتلكون الحق في التعبير عن أنفسهم، وهذا يحتاج أيضاً إلى الإيمان بأهمية الحوار وأهمية الكلمة، وأننا في الحوار طرفان متماثلان لكلٍّ منا الحق في إبداء وجهة نظره، وليس أن يكون أحدنا هو المتلقي دوماً والآخر هو المتكلم والموجِّه دوماً.

والحوار مع الطفل أساسه أن نتمكن من التواصل مع هذا الإنسان بلغته هو، وأقصد مصطلحاته وتعابيره، بمعنى أن أحاوره بلغته البسيطة السهلة التي يفهمها، إضافةً إلى أنه يجب الوقوف أمامه بمستوى واحد من الطول، حتى تلتقي العيون في مستوى واحد، فيشعر بأنه مثلي أو أنا مثله، وليس أن أكون أعلى منه فينظر إلي على أنني أكبر منه أو أعلى مستوى.. حتى نصل إلى النتيجة المرجوة والمبتغاة معه.

ومن يتمكن من التواصل مع الأطفال بسهولة، يجد سهولةً أكبر بالتواصل مع الكبار، ذلك لأن للطفل معاييره الخاصة والتي تناسيناها نحن الكبار واعتمدنا معاييرنا المختلفة بشكلٍ كامل عنه.

أذكر مرةً أن أحد تلاميذي في الصف الأول كان دائم التعبير عن حبه لي بلغته البسيطة التي يستخدم فيها الكلمة ذاتها دونما أية إضافات، وحين وجدني فجأة أصرخ على زملائه بقصد دفعهم لأن يصغون إلي، ما كان منه إلا أن جاءني وقال لي: (أنا لا أحبك)!! هكذا وبكل بساطة، هو لم يعبر إلاّ عن شعوره نحوي في تلك اللحظة، إلا أنه ومن دون أن يعي أوضح لي كيف يجب أن أكون، وكيف عليَّ أن أتعامل معهم...

طفلٌ آخر، كانت والدته تأتي على الدوام إلى المدرسة تشكو منه بأنه عنيدٌ وأنه يتعبها وأنه لا يصغي إليها ولا يأبه بها، ولكوني أدركت أنه اعتاد على التمرد، وأنه بذات الوقت يتقبلني ويتقبل مني ما لا يتقبله من الآخرين، اتبعت معه أسلوب الحوار وصرنا نختلق الفرصة المناسبة حتى نتكلم معاً وأختلق له القصص والحوادث، وجعلته يشعر أنه مهمٌ جداً بالنسبة لي وأنني لا أتمكن من ضبط الصف إلا بوجوده ومساندته لي، وحين يتصرف تصرفاً مزعجاً أشعره بمدى امتعاضي واستيائي من تصرفه، وشيئاً فشيئاً توصل الطفل المراهق ليعبر لي بقوله: (تزعل كل العالم بس انت ما تزعلي..) وجاءتني والدته بعد فترةٍ لتسألني عن سر تبدل حال ولدها معها، فأجبتها بأنه الحوار!

رغبت أن أسرد هذين المثالين لأوضح أننا بالحوار الهادئ نستطيع أن نتوصل إلى ما نريد مهما عانينا من صعوبات، لكننا بالنهاية سوف نحقق ما نبتغيه، فقط إن وضعنا نصب أعيننا وفي أذهاننا أن الآخر الذي أمامنا هو كائنٌ كاملٌ له من الحق ما لنا، وعلينا من الواجب ما عليه، وكما نريد أن نتلقى الاحترام والحب والتواصل الجيد من الآخر معنا، علينا أن نعطي الآخر أيضاً ما يريد ويحتاج.

فحين نمتلك أدوات الحوار مع أنفسنا ومع الآخرين نجد حلولاً عديدةً للمشاكل التي تعترضنا، مهما كانت صغيرةً أو كبيرةً، ابتداءً بالمشاكل البسيطة اليومية وانتهاء بأزمة تمر بها البلاد منذ سنوات أكلت الأخضرَ واليابس.

إيناس ونوس

خيوط تترابط.. فتتآلف القلوب

■ مهارات الحياة مهما اختلفت، من إقناع وتفاوض وحل نزاع وما شابه، تحتلها نواة جوهرية هي سرُّ قوتها، ألا وهي التواصل، التواصل الذي يبني ثقة وتفاعلاً، وبه تتقارب الأفكار مهما اختلفت ثقافات الشعوب وقناعاتها. فالتواصل لعبة رائعة إن عرف الإنسان أن يلعبها، ففيه يقترب الشاب من الفتاة أو العكس، فيلفت أحدهما انتباه الآخر بضحكة أو فكرة أو تفهّم.. وبالتواصل المحترف يستطيع مندوب المبيعات تحقيق صفقات كبيرة، وبه يستطيع الأبوان التفاهم مع أولادهما والوصول معهم إلى حلول تربط حبل الفوارق بين الأجيال، وللتواصل أهمية بالغة لدى بعض الأطباء المختصين والمرشدين النفسيين والمستشارين المهنيين.

إنه التواصل، الحرفة التي بإتقانها تستطيع ربح جائزة القلوب والعقول التي ابتعد بعضها عن بعض للأسف في هذه الفترة، فلم يبقَ هناك من روابط بينها، ولا جُهدَ من أحدهم لإيجاد حلٍّ وسط يجعل منها نقطة ارتكاز ليبدأ بانطلاق نحو حلٍّ من نوع آخر.

تجد الكثير من الأصدقاء والأفراد حتى داخل العائلة الواحدة يعيشون في حالة من التناقض، كثُرت خلافاتهم، وغضبهم كَبُر، ومشاكلهم تراكمت، والمسافات بينهم تقطعت سبلها، كل ذلك بسبب المجادلات بين موالٍ ومعاد، بين وفيٍّ وغدّار، بين مع وضد، ولا أحد يقبل فكرة من آخر، ولا يحاولُ أن يتفهمه.

كلاهما (وهما على حق) يحلم بوطنٍ في خياله يساعده على خلق مستقبل من نوع مختلف، منهم مَن يرى المستقبل بالعلم ومنه من يراه بالعمل، أو بالدين، أو بالقضاء على الفساد، أو بتغيير الدستور والقوانين، أو بمشاركة الناس كلهم وعلى مختلف أطيافهم بسياسة البلاد وإدارة شؤونها... مع العلم أنه لو أنصتوا لبعضهم قليلاً وجمعوا زواياهم ورؤاهم لوجدوا أن باجتماع كلامهم كله يكمن مستقبل الوطن، فوطننا سورية يحتاج إلى كل تلك المحاور، ودونها لا يستمر..

لغة التخوين والكراهية والحرب لن تفيد الشعب أبداً ولن تؤهله للوصول إلى جوهر السلام، فالحل فقط يكمن بتواصل الأطراف فيما بينها، وتحاورها وتقديم تنازلات عن بعض الأمور التي ربما تبنى لاحقاً مستوى آخر لبلادنا من تفاهم وتشاركية.

ولنتواصل مع الآخر ليس علينا أن نتكلم معه بلغتنا وطريقتنا، بل علينا أن نصل إليه عن طريق أفكاره وأسلوبه في الوصول إلى منفعته، كل ذلك عن طريق التواصل، على لعبة فكرتي بأسلوبك، ولا نعني بهذا أسلوب الغضب والصراخ والشتائم، بل أسلوب التفكير والوصول إلى لب المصلحة من بابٍ جديد وطريقٍ يحقق الهدف والرسالة.

التواصل هو حالة من الفهم المتبادل بين نظامين أو كيانين. يكون أحد هذه الأنظمة مرسلاً وقتاً ما، ومن ثم يكون الآخر مستقبلاً، وفي وقت آخر يتبادل كلا الطرفين المواقع من حيث الإرسال والاستقبال.

التواصل عملية تبادل المعلومات والآراء والأفكار والمشاعر والمواقف والاتجاهات بين الأفراد والمجموعات سواء داخل المجتمع الواحد أو خارجه.

كل تلك تعاريف للتواصل وعلينا أن نفهم عمقها لنتعلم تقنياتها وأسلوبها وزواياها فنتحرك نحو رسالتنا التي نريد إيصالها إلى الآخر، ونرسمها بكلمات وأسلوب يُسهّل عملية وصولها مع جوهر مضمونها إلى عقل الآخر وتفكيره. فلو كانت الكلمات تحمل كل الخير وكان أسلوبها سيئاً أو من دون نظرة جيدة وصوت لطيف ومسموع ورسم بالكلمات دقيق فلن تصل إلا تجريحاً ومحملةً بالذنب. وأهم نقطة في التواصل هي أن نعلم أنه ليس من الضروري في نهاية الحوار أن يقتنع الآخر تماماً بفكرتنا، بل ربما تتقارب الأفكار لنصل إلى فكرةٍ جديدة وحلٍّ يرضي جميع الأطرف.

سورية تحتاج إلى تواصلٍ فعال وحقيقي، وكل سوري يسعى لإيصالها إلى مستوى من الأمان والتفاهم والاستقرار.. تحتاج هي إلى حوار من نوع مختلف لا يحوي أفكاراً مسبقة، ولا سيناريوهات متكررة. إنه وطنٌ وليس صفقة يا أولي الألباب!

رولا عبدوش